الشفاء فى حقوق المصطفى




الشفاء

في حقوق المصطفى للقاضي عياض

كتاب الشفاء قاضي عياض

قد صار هذا الكتاب
الشريف من تعلقات
العبد الفقير الحقير المعترف
بالعجز والتقصير محمد
محي الدين ابن محمد
بن سعيد الدين عفي
عنه مولاه
١١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه وسلم
قال الشيخ الفقيه الامام القاضي ابو الفضل عياض بن موسى
ابن عياض اليحصبي رضي الله تع عنه الحمد لله المنفرد باسمه
الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا
لا عدما وسع كل شي وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث
فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى
وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا
ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا
صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما
وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن
كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلوة تنمو
وتنمى وعلى اله واصحابه وسلم تسليما اما بعد فقد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف باوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته
وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته
حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره
فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته
وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه

المنفرد
انفسهم
قره
طاع

يتعززون لديهم بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم
يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل [ذلك]
قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من
مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك
حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا
وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام [ذعرا]
في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن
غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم
والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص
هذه الدرجة العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر [العالية]
بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر
سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق
من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب
من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان
خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من
حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين امنوا ايمانا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب [ولما]
لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام
بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن
محمد نا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر
محمد بن بكر نا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى
بن اسمعيل حدثنا حماد قال اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت
الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت
تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل
ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد
غدا او لا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب
الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح
يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا
فيما ينجينا ويقربنا اليه تع زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما
نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف
حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله عليه وسلم قولا
وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب

الباب الاول

في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في تكميله تع وجل له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه

مسفرة

بعبده

ثناء الله تع

ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته • وفيه اثني عشر فصلا

الباب الرابع

فيما اظهره تع على يديه من الايات • والمعجزات • وشرفه به من الخصائص • والكرامات • وفيه ثلاثون فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الانام • من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه • في اربعة ابواب

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول

الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه ستة فصول

الباب الرابع

في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه • وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه • وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب • ولباب ثمرة هذه الابواب • وما قبله له كالقواعد والتمهيدات • والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات • وهو الحاكم على ما بعده • والمنجز من غرض هذا التاليف وعده • وعند التقصي لموعده • والتفصي عن عهدته • يشرق صدر العدو اللعين • ويشرق قلب المومن باليقين • وتملأ انواره جوانح صدره • ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره • ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض
البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته
والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول

وختمناه بباب ثالث

جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين
قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه
في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام
والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج
التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين
وحذس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق
وتعرض عن الجاهلين وبالله تع لا اله سواه استعين
لا اله الا هو الملك الحق المبين

القسم الاول

عز وجل

ينجز بيان

في تعظيم

في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولاً وفعلاً قال القاضي
الامام ابو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئاً من
العلم او خص بادنى لمحة من فهم فتعظيم الله تع قدر نبينا
صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل
عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تع في كتابه ونبه به
على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد
على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءاً وعوداً والحمد اولى
واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه
الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي
شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين
من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت
انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني
عليه قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي
السنجي قال نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة
الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجماً مسرجاً فاستصعب
عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد

بتعظيم

مما

التنويه الرفع يقال نوهته اي رفعته ق

اكرم على الله منه قال فارفض عرقاً

الباب الاول

في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله
العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على
ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم
من انفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي
الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب
او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه
ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه
بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او
قرابة وكونه من اشرفهم وافضلهم وارفعهم على قراءة
الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم
واخراهم وعزته عليهم ورافته ورحمته بمؤمنيهم قال
بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله
في الآية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم الآية وفي الآية الاخرى هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم الآية وقوله كما ارسلنا فيكم

[هامش: ثناء الله]

[هامش: وهو عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى من الأم العشيقة لبس في الرواية]

رسولا

وسلا لأمتكم • وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تع من انفسكم • قال نسبًا وصهرًا وحسبًا
ليس في ابائي من لدن آدم عليه السلام سفاح كلنا نكاح • قال
ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم • فما وجدت
فيهن سفاحًا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تع وتقلبك في الساجدين • قال من نبي الى
نبي حتى اخرجتك نبيا • وقال جعفر بن محمد علم الله تع عجز خلقه
عن طاعته • فعرفهم ذلك • لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من
خدمته • فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من
نعته الرأفة والرحمة • واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا • وجعل
طاعته طاعته • موافقته موافقته • فقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله • وقال الله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • قال
ابو بكر بن طاهر زين الله تع محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة •
فكان كونه رحمة • وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق • فمن اصابه
شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه • والواصل
فيهما الى كل محبوب • الا ترى ان الله تع يقول وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين • فكانت حياته رحمة • ومماته رحمة كما قال عليه السلام
حياتي خير لكم • ومماتي خير لكم • وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها • فجعله لها فرطا وسلفا • وقال السمرقندي
رحمة للعالمين • يعني للجن والانس • وقيل لجميع الخلق للمؤمنين
رحمة بالهداية • ورحمة للمنافق بالامان من القتل • ورحمة
للكافر بتأخير العذاب • قال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة
للمؤمنين والكافرين • اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم
المكذبة • وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة شيء • قال نعم كنت اخشى العاقبة

فامتنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى
فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من
اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تع الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل
ابن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض وقال
مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة
مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة
مباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه
الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تع في القران في غير
هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه
حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت

الذنب

اهل السموات ثم قال سهل نور محمد عليه السلام اذ كان

المباركة

يدبراو بالصدر القلب

الذي انقض ظهرك. حكاه السمرقندي. ورفعنا لك ذكرك. قال يحيى
ابن آدم بالنبوة. وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله
محمد رسول الله. وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل هذا
تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه
لديه وشريف منزلته وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة. ورفع عنه ثقل
امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه
على الدين كله. وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل اليهم. وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه. قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني
جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم. اذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك. وقال ايضا جعلتك
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني. قال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية. واشار بعضهم
في ذلك الى الشفاعة. ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول. وامنوا بالله
ورسوله. فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام في غير حقه عليه السلام. حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن
محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال
اخبرنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا
ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد

تقدير
رفعه
متشهدا
بذلك
المشتركة

الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن
حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم

ابن اليمان

ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال
الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تع
على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف
الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت

فقد غوى

قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين على
حرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له
الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح
انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد
اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي هل يصلون راجعة الى الله تع والملائكة ام لا فاجازه

على الله

بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة
وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تع
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه
لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تع قل
اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف
المفسرون في معنى قوله تع في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيارا هل

نبيه واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما
نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في
قوله تع صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تع فقد استمسك بالعروة الوثقى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تع والذي جاء بالصدق وصدق به
اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء
بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق
صدق به وقرى صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق
به المؤمنون وقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي رضي الله عنه
وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تع الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني

في وصفه له تع بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة
قال الله تع يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الاية جمع الله تع له في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة
اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
رحمه الله تع قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد اخبرنا ابو الحسن

القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح
حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن
العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي
به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به
بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة وهؤلاء متشتتة وامم
متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر
اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته
الحمادون لله على كل حال وقال تع الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الايتين وقال تع فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال
السمرقندي ذكره منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا

قلت لعبد الله

فقلت

لعلم ٢ واهواء

الحمادون

وقد

ذكرهم الله تع

لين

لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله
لكن جعله الله تع سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تع وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تع فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
الاية وقوله تع وسطا اي عدلا اخيارا ومعنى هذه الاية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم
فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم
حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي
وقال تع وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال
قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي
سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع
صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة
رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

شهداء صح

حكاه عنه السلمي صح

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك
قوله تع عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا

افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن
عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب قال حكى
السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب
لم اذنت لهم قال ولو بدء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم
لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من
عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره
به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض بزمام الشريعة
خلقه ان يتادب بادب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية
والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السوال من رب
الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من
الفوايد وكيف ابتدء بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل
ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تع ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى
الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدء بثباته
وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي
اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته

الفقيه

ويتبين

ومثله

ومنها قوله تع قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبون
الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تع قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبون الآية وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال
ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل
الله تع الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى
له صلى الله عليه وسلم والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تع ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات
حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تع
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه
بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل
من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا قال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تع خاطب جميع
الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود
يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول
يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

فما

كذبا

الفصل الرابع

في قسمه تع بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم قال الله تع لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم
من الله جل جلاله بمدة حيوة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم
العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحيوتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله
ولا ذرا ولا برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت
الله تع اقسم بحيوة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تع
بحيوة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده
وقال تع يس والقران الحكيم الاية اختلف المفسرون في معنى
يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد
مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس
يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من
اسماء الله تع وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس
قسم اقسم الله تع به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين
فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان
فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه
وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم الله تع باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق
لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تع

الاعلى من الانبيا عليهم السلام بالرسالة في كتابه الإلاه وفيه من
تعظيمه وتمجيده على ما وبلد من قال انه يا سيده ما فيه وقد قال
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم وقال تع لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد
حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند
هولاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي
شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله بهذا البلد ونحوه
قول ابن عطاء في تفسير قوله تع وهذا البلد الامين قال
امنها الله تع بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم
قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال
هو ابرهيم عليه السلام وما ولد فهي ان شاء الله تع اشارة الى [فهو]
محمد صلى الله عليه وسلم فيتضمن السورة القسم به في موضعين وقال
تع الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف
اقسام اقسم الله تع بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تع واللام جبريل
عليه السلام والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد
صلى الله عليه وسلم بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل
القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران
اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تع ق
والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث
حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل [وقيل هو اسم الله تع]
هو اسم للقران وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال

جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله تع وقال ابن عطا في قوله تع والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تع جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تع وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي وما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي مالك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تع عليه من نعمه وقرره من الآية قبله

في بقية

في [illegible] السورة من هدايته الناس بنا على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى
ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله تعالى
وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك
فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره
بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال
صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره
بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث
بها وهذا خاص له عام لامته وقال والنجم اذا هوى
الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم على باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال سهل هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت
هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم
وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى
اوصله اليه عن الله تعالى جبريل وهو شديد القوى
ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه
الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى
من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول
سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام

من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به
العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول ورمز عنه تع
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة
بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال
لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل
ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى

في تعبير

قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تع
بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات في هذا المسرى
فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد
ما راى ولسانه بقوله تع وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله
تع ما زاغ البصر وما طغى وقال تع فلا اقسم اي اقسم انه
لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ
ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل
عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع
الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمدا قيل راى ربه وقيل
راى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم
ومن قرءه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى
ن والقلم الايات اقسم تع بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له
وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات

وذكي

الا في المجاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم وثواب غير
منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير
ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل
القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة
الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه
من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان
اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه
ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع
افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده من عقابهم
وتوعدهم بقوله تع فستبصر ويبصرون بايكم المفتون الثلاث
الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله تع فلا تطع المكذبين الى قوله
اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه
وخاتمة بواره بقوله تع سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له
اتم من نصرته لنفسه ورده تع على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تع في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام
قال تع طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله تع وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي
اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والها كناية
عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تع طه ما انزلنا عليك القرآن

معناه ساق

لتشقى وَنزلت هذه الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وَقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن وغير وَاحِدٍ عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة وَمن
اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي
حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا
هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي الله عنه قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل
الله تع طه يعني طاء الارض يا محمد صلى الله عليه وسلم ما انزلنا عليك
القران لتشقى وَلا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وَحسن المعاملة
وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما
لحق الفصل بما قبله وَمثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تع
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا
اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا وَمثله قوله تع
ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم قال ان نشا
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وَمن هذا
الباب قوله تع فاصدع بما تومر وَاعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله تع وَلقد
استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه الله تع بما ذكر وَهون
عليه ما يلقى من المشركين وَاعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل
بمن قبله وَمثل هذه التسلية قوله تع وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك وَمن هذا قوله تع كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تع بما اخبر به عن الامم السالفة
وَمقالها لانبيائهم عليهم السلام قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه
وَابان عذره بقوله تع فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم

انه

[illegible] ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تع فاصبر لحكم
ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك
سلاه الله تع بهذا فى آى كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبره الله تع به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبيا عليهم الصلوة والسلام وحظوة رتبته قوله تع واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين

اتيناكم

قال ابو الحسن القابسى استخص الله تع محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل
لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه واخذ ميثاقهم ان
يبينوه لمن بعدهم وقوله تع ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله
نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن
بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك
على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى آى تضمنت فضله من
غير وجه واحد قال تع واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية وقال تع انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الى قوله وكيلا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه
قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ من فضيلتك عند الله تع
ان بعثك آخر الانبيا وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الايتين بابى انت
وامى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم

اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول
الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذنا عليهم
عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تع تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد
بقوله تع ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه
بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه
المعجزات وليس احد من الانبياء عليهم السلام اعطي فضيلة
او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم
ومن فضله ان الله تع خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تع وان من شيعته لابراهيم ان
الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم لابراهيم اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفراء وحكاه عن مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تع خلقه بصلوته عليه وولايته له ورفع العذاب
بسببه قال الله تع وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت
بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تع
لو تزيلوا الاية وقوله تع ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين
ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرء به العذاب عن اهل مكة
بسبب كونه صلى الله عليه وسلم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم

اي ان من شيعته

فلما

فاخرجه من مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين وغلبتهم اياهم وحكم فيهم
سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضاً تاويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو
يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع
حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن
يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تع علي امانين لامتي
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان
لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر
البلاء والفتن وقال تع ان الله وملائكته يصلون على النبي
الاية ابان الله تع فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته عليه
ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله صلى الله
عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله تع
علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة
من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ
الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين
في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفايته الله تع

فيهم

لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تع اليس الله بكاف عبده [illegible]
هدايته قال الله تع ويهديك صراطا مستقيما والباء تاييده له
قال الله تع ايدك بنصره والعين عصمته له قال الله تع والله
يعصمك من الناس والصاد صلوته عليه قال الله تع ان الله وملائكته
يصلون على النبي وقال تع وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه اي
وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة
وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي رضي الله عنهم وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تع انا فتحنا لك فتحا
مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تع لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته
وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا
للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال الله تع ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك
وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا

الا هو

ونذيرا

[illegible] الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على امته
لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا الامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا اعدوه
بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من
سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى يجلونه وقيل
ينصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اى تعظمونه
وقرىء بعضهم تعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر
ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال الله تع وتسبحوه
فهذا راجع الى الله تع قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام
الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من
اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته
ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج
به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا
مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه
وجعله احد ركني التوحيد ثم قال الله تع ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل
ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام
وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تع فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب

فالمعرفة
الاختصاص بيانه
عليه

الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تع وهو خالق
فعله ورميه وقدرته عليه ومشيته ولانه ليس في قدرة
البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم
تملأ عينيه وكذلك قتل الملئكة لهم حقيقة وقد قيل في
هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ
ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله تع فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله تع في كتابه العزيز من كرامته صلى الله عليه وسلم
ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه
قبل من ذلك ما قصه الله تع من قصة الاسراء في سورة
سبحان الذي والنجم اذا هوى وما انطوت عليه القصة من
عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن
ذلك عصمته من الناس بقوله تع والله يعصمك من الناس
وقوله تع واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تع الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد
تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند
خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر لهم في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة
ومنه قوله تع انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانئك هو الابتر اعلمه الله تع بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل
نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات
الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه

ورد عليه قوله تع فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك
ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي
لا خير فيه وقال تع ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران
العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي
وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران
العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم واذخرها له دون
سائر الانبياء وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه
وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تع
وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تع وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال تع قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الاية قال الفقيه القاضي فهذه من خصايصه صلى الله
عليه وسلم وقال تع وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة
كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال تع النبي
اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير
اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من
اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج له
في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
وقال تع وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية وقيل فضله العظيم

وذخرها

بالبنوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها ابتلي
الى احتمال الروية التي لم يحتملها موسى صلى الله تعالى عليهما

الباب الثاني

في تكميل الله تع له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم والباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة
وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وما يحمد فاعله ويقرب
الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء
فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته
وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه
وعزة قومه واكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حيوته اليه
من غدائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه
وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق
العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر
والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتودة والوقار
والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها
حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق وما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة

كما سنبينه

كما سنذكره ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم
يرد بها وجه الله تع والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

الفصل الاول

قال القاضي اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل
عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال وتتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال ورمم بوال
فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه
ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والروية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة بين
الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسول والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملئكة
وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية
الامة والدعاء الى الله تع وصلوة الله تع والملئكة والحكم بين الناس
بما اراه الله تع ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة
دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع
الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس

يتشرف

وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه

يخفيه

محفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره
الى ما اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامات ودرجات القدس

الكرامة

ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم

الفصل الثالث

ان قلت اكرمك الله تع لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم
اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله تع قلبي وقلبك
في هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حبي وحبك انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلق وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
وبراء بن عازب وعايشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي

ومعرض

الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
رضي الله عنهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملا صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المتجرد
دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد

ولا بالقصير رقيق

ووجها

ومع [illegible] الا طويل يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى

الفصل الثالث

واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى بذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

الجلودي بضم الجيم هو الصحيح

جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كانما اخرجها من جونة عطار وقال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس رضي الله عنه فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في الطريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى الحربي رحمه الله عن جابر رضي الله عنه اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكاً وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبراً عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئاً من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبلغ ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شي ليس من الاصل وهذا الخبر وان لم يكن مشهوراً فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه وهو قول بعض اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى حكاه الامام ابو النصر بن الصباغ رحمه الله في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئاً فقلت طبت

ليس من الرواية صح

سعيد الواقدي

ابو نصر

حيا

حبنا لبيّنا قال وسطعت منه طيبة لم يجد مثلها قط ومثله قال
ابو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه
شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصّه اياه وتسويغه صلى الله
عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن
الزبير رضي الله عنه دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من
الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحوًا من هذا عنه
في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدًا ولم يأمر
واحدًا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي
شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلمًا والبخاري اخراجه في الصحيح
واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيئًا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله
عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه آمنة انها قالت
ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي
صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست
عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

أمته

الفصل الرابع

واما وفور عقله وذكاء لبّه وقوة حواسه وفصاحة لسانه
واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس
واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلًا عما افاضه

من العلم وقراءة من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال
وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي
رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تع لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا الى انقضائها من عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين
رمال الدنيا وقال مجاهد رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تع وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله تع اياها
في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين
يدي وفي اخرى اني لابصر من قفائي كما ابصر من بين يدي وحكى
بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله
عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت
المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي
عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية
العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها
الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبياء عليهم السلام وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام
القسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان

حدثنا

ام هانی

حدثنا احمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله تع لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله
عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات
ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته
وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا
وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث
وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى
تقلعا كانما ينحط من صبب

الفصل الخامس

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان
وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب
والعجم فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد
ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن
حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي
من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون
عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة

ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد
اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في
الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا
الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب
لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم
ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله
الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه
لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه
في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله تع وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل
على الاقيال اين هذا من كتابه لانس رضي الله عنه في الصدقة
المشهور
لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل
اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله
في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه

في الثيعة

المأثورة

المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون
تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير
في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء
عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسلم
تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني
مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين

الموطئون

يألفون ويؤلفون وقوله صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا
يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال
وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله
صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وسلم
في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها
امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها

ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم الآن
حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب
في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه
ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية و
جزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام
معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

الفصل السادس

قال رضي الله عنه واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج
الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم
سلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل امه
وابيه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي
القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد
سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو محمد
السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله
عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة

ثم تخير

ثم جعلها بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن
واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من بني قريش بني هاشم واصطفاني من
بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وفي حديث عن ابن
عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اختار
خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار
بني هاشم فاختارني من بني هاشم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق
آدم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة بتسبيحه
فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض في صلب آدم عليه السلام وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم عليهم السلام ثم لم يزل الله تعالى
ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

الفصل السابع

واما ما تدعوا ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب
ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه
فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة
الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد

العلماء والعرب

وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وجودة الذهن
كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر وغير نفع
وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ
من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي
امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي
الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني
حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن
صالح قال حدثنا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا عند
الموت لقلة الزاد وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله
عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في
اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه
قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة

وامتلاء

حدثنا ابو نعيم الحافظ
ابو نعيم صح

وثلث لقمات

فتندموا

رضي الله عنه وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم
لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون به عليه فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمن يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن
ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل
متكيا والاتكا هو المتمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكا الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله
عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب
وما يتعلق به من الاعضا الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

الفصل الثامن

والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة
الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس رضي الله
عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم

وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباهٍ بكم الامم
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه
عليهما صلى الله عليه وسلم من كان ذا طولٍ فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن
عبد الله رضي الله عنه قد حببن الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة رضي الله عنه وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء وقد كره
غير واحدٍ ان يلقى الله عز وجل عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام قد اثنى الله
تع عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله تع عليه بالعجز عما تعده فضيلة
وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم
ان ثناء الله تع على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه
كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما
معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل بكر
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليس له شهوة في النساء فقد بان
ذلك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها
موجودة ثم قمعها اما بمجاهدةٍ كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تع
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة
الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها
ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم
الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال

نكح قد صح

مشاغلة

حبب

حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل
لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج ولقاء الملئكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذات الله في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين
وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى
يحيى وعيسى عليهم السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن
وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة وقال انس رضي الله عنه وكنا
نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي
رافع وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع
ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة
على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له
ثلثمئة امرأة وثلثمئة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة
امرأة وثلثمئة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة
وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تع ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله عنه وعنه صلى الله عليه
وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة

زهده

الجماع وقوة البطش وأما الجاه محمود عند العقلاء عادة ويقدر
جاهه عظمته في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض
الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده و
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى الله
عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه
ويقصدون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا
واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة
سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي
عن قيلة أنها رضي الله عنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن
رجلا قام بين يديه فأرعد فقال هون عليك فإني لست بملك
الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة وشرف منزلته بالرسالة و
وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية
ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

له رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل التاسع

وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح والتفاخر بسببه
والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في
مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب
كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر
وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان

فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على حد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله
ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي
بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازنا مال غيره ولا مال له فكانه
ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوايد المال وان
لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله
عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك
من الشام والعراق وجبيت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
وحليت
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما
استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير
مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه
نفقسمها
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس
في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من
حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة

في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآنية وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

معرقا

الفصل العاشر

واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا وعما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى المنحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى بعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى

مبعثهم

ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غريزة فيهم هذه
الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تع
واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى عليه السلام العلم
بكتاب الله تع في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلث
فقال له الصبيان لم لا تلعب معنا فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تع
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن
امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله تع على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله تع
لها لا تحزني على قراءة من قرء من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تع ففهمناها سليمان وكلا اتينا
حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو صبي يلعب
في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود عليه السلام ابوه
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك
قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل قال
المفسرون في قوله تع ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه الله تع قبل ابداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله تع اليه ملكا
يامره عن الله تع ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم
يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق
بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر
والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف
عليه السلام وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب يقول الله تع

وذاك

بعض

واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب رضي الله عنها اخبرت
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض
رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت
بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم
وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم ممن يطبع
على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن
السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على
ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت
الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف
فيها هل هذه الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه والحسن وبه قال وهو الصواب ما اصلناه
وقد روى سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء
وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا
نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى

الفصل الحادي عشر

اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل
وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه
منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك
ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيرة
وطالع جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير
الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشارته حجة
كالعبادة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما نبينه
في معجزاته ان شاء الله تع دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب
من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل هو نبي امي لم يعرف بشي من
ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك
بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم الى ساير ما علمه الله تع واطلعه عليه من
علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال تع وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

تقرير

الفصل الثاني عشر

واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين
هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب
المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة
وهذا كله مما ادب الله تع به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى
خذ العفو وامر بالعرف الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل عليه السلام عن تاويلها فقال له حتى
اسأل العالم ثم ذهب واتاه فقال له يا محمد ان الله يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له
واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال تع وليعفوا وليصفحوا الاية وقال تع ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يوثر من حلمه واحتماله وان كل حليم
قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم
لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن
عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن
عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
حرمة الله تع فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه
شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي

يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم

عنهم

ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر عليهم سبب
الشفقة والرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما
اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى
له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ

الحرث

تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم والسيف صلتا في يده فقال من
يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه
وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس ومن عظيم
خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد
اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي
واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا صلى الله عليه وسلم

يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من
مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت
بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى
الآخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله تع وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
تع وما ضرب خادما ولا امراة وجي اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن
تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل
اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع
ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج
يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي
من اجله ثلث وامر عمر رضي الله عنه يقضيه ماله ويزيده عشرين
صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول
ما بقي من علامات النبوة شي الا وقد عرفتها في محمد صلى الله
عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده
شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف
والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة

شعنة
منكبيه

الكث

اكثر من ان ناتي عليه حسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
واذى الجاهلية ومصابرته الشدايد الصعبة معهم الى ان اظهره
الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة
خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف عليه
السلام لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس
رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تع
وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد
ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفى عنه ولاطفه
في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله تعالى عليه وسلم

الفصل الثالث عشر

واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد
فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم
خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا
ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد
السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري

حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد رضي الله عنهما مثله
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس
بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا سأله
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي
عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة ابن نوفل انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى
العباس من الذهب ما لا يطيق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي
فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء
كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن
ابي هريرة رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله
فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل
يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال له نصف قضاء ونصف نائل

وقل

شيئا

خلقه

تخش

سباعله ٦٠

وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة على رأيهم واصطلاحهم في الفاظهم وهو غاية الكرم والايثار ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لمحمد صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيمة يقول نفسي نفسي وهو يقول امتي امتي

الفصل الرابع عشر

واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رأى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمين مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد

ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه
انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد
رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه
صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد
فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن
حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله تع فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن
الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن
ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا
من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد صلى الله عليه وسلم وهم
يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة

الفصل الخامس عشر

واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل

ولا افضل

طريقة

الشعراء ذبابة لها ابرة

ما يتوقع

مما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله عنه بقراءتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم النفس وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

الفصل السادس عشر

اخبرنا

ولا صخابا

في التورية عن عبد الله بن سلوم

وأما حسن عشرته وآدابه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف
الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه
صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم
عريكة وأكرمهم عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي
فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا
أبو محمد بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا هشام
وأبو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي
قال سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن
زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنهم قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا
وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد
رضي الله عنه يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن
تنصرف فانصرفت وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن
يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها
أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها

وقال

أوسع

انصرف

وفي رواية أخرى

وقال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزا فيقطعه بنهي او قيام ويروى انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله ابن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يأتي بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك

الفصل السابع عشر

الآخر

اليهم

ويروا بآبنائه

او قيام صح

الحرث

فيه

واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تع عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تع
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمومنين رؤف رحيم وحكى نحوه
الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري
حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر حدثنا ابن وهب
حدثنا يونس عن ابن شهاب رضي الله عنه قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا
سعيد ابن المسيب ان صفوان رضي الله عنه قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق
الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت
اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار
اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال
هل احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك
فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم
عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من

بأم الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى
عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار
وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد
من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء
مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه
لهم رحمة بهم وانه يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن شفقته
صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها
اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه جاءه جبريل عليه السلام فقال له
ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك
الجبال ليأتمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له
مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر رضي الله عنه ان
جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان
يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله
عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

الفصل الثامن عشر

عنهم

يتعب تتعنت

اتاه

اخشبين

اخشب جبل لكل اخشب
الاخاشب جبال مكة وقد يقال
انشد ابو عبيد كان فوق منكبيه

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا
ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد
ابن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله
ابن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء رضي الله عنه بايعت النبي
صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه
بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي انا هٰهنا منذ ثلث انتظرك وعن انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها
كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة رضي الله عنها وعن عايشة
رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح
اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال
انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته زينب
يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه
وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او
متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل
رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة

حتى

حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا
امه التي ارضعته وعن عمر بن السائب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له
بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب
مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سئل من بقي من قرابتها فقيل لا احد
من بعض الرواية وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله تع ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق

الفصل التاسع عشر

واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا وقال له
اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله تع قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه
واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمئة قال حدثنا ابو علي
الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن
نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي
غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان يركب الحمار ويردف ويعود المساكين ويجالس

الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث
ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن
انس رضي الله عنه ان امراة كانت في عقلها شيء فجاءته فقالت ان لي
اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك
حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب
الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب
قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت
عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد ان يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا
بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو
لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية
قال ذاك ابراهيم عليه السلام وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد
هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه
ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن

جاءته

السنخة المتغيرة

مهنته

امراة

امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق
مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترا سراويل وقال للوزان زن وارجح
وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب
يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم
ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

الفصل العشرون

واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان
صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق
الصالحة وقال تع مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا
اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته
فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان
يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون
حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد
ابن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب
حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب
عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تع فانهم لا يكذبونك الاية
وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس
ابن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا
غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب

على وزن امير

فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط وسئل
هرقل عنه ابا سفيان رضي الله عنه فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة
حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق
الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى اياماه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج
قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره
ثلثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزه
بينه وبين الناس فكان صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة على العامة
ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من
لا يستطيع امنه الله تع يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل
ذلك يحول الله تع بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى
اكرمني الله تع برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي
غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير

الحارث

قيس

لعرس

لعرس بعضهم فجلست انظر فضربت على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عرا لي مرة اخرى مثل ذلك ثم اني لم اهم بعد
ذلك بسوء

الفصل الحادي والعشرون

واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه حدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت
بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي حدثنا ابو ذر الهروي
حدثنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن
ابن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن
زيد رضي الله عنه يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة
رضي الله عنه انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو حديث قيلة وكان
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه
تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما
ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة رضي الله عنه كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها

اهيب

كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان
صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا
او يحض عليها ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ
في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك
وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

الفصل الثاني والعشرون

واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما
يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن
محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر
قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة رضي الله عنها
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز
حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله تع ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها
صدقة قالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شي
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان
تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم

الذي

والرواجب بطون السلاميات واحدها راجبة والسلاميات والبراجم هي العظام التي بين كل مفصل من مفاصل الاصابع ويقال لها الفصوص

الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه
السلام نزل عليه فقال له ان الله تع يقريك السلام ويقول لك اتحب
ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة
ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد
يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله تع يا محمد بالقول الثابت
وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم لنمكث
شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته
من خبز الشعير وعن عايشة رضي الله عنها وابي امامة وابن عباس
نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت
هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله
عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها
قالت انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه وعن حفصة رضي الله عنها
قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا تثنيه ثنيتين
فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلوتي
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبيه وعن
عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى
وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلة من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سئل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فقال يا عايشة ما لي
وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا

مرتفقاً انها

لى

بمثل

ليلته

فيقول

فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

واصلادي

الفصل الثالث والعشرون

واما خوفه ربه تعالى وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر رضي الله عنه نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما لا يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا

تجأرون

قالت

نائماً الا رايته نائماً وقال عوف بن ملك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ
فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسئل ولا يمر بآية
عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرء
آل عمران ثم سورة ثم سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله
عنه مثله وقال سجد نحواً من قيامه وجلس بين السجدتين نحواً
منه وقال حتى قرء البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القران ليلة وعن
عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله
عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي روى سبعين مرة
وعن علي رضي الله عنه قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر
وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي

الفصل الرابع والعشرون

اعلم وفقنا الله تع واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل
صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب
وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال
والكمال والتمام البشرية والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم

والفخر

والتقوى زادي

فيه

اذ رتبتهم اشرف المراتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله تع
بعضهم على بعض قال الله تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تع ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى عليه السلام فاذا رجل
ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام فاذا
هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث
آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال وفي
حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تع من
بعد لوط عليه السلام نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة
ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
انس رضي الله عنه ما بعث الله تع نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تع في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال تع يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال الله تع
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا الى الصالحين وقال الله تع ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال الله تع ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال اني آتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال الله تع يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى
عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال الله تع فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم

الدياس الكنه اي كانه مخلف لم ير شمسا
وقال بعضهم الدياس السرب وقيل الحمام
ومستر اداو ونزهم وقال الدياس الحمام
من الغرس للهرو والبطن الضامر
البطن والبطان فضلة البطون
الذي يشاكل بطنه

عنه

رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوى الامين وقال الله تع
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال الله تع ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم باوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال الله تع
فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال الله تع ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى امين وقال الله تع ستجدني ان شاء الله من
الصابرين وقال الله تع في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي
موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال الله تع
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال الله تع وشددنا ملكه
واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال الله تع عن يوسف اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال الله تع عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال الله تع
عنه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال الله تع ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال الله تع انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من
خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث
كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي بن نبي بن
نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم وروى ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطى
من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تع وكان
يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير فاوحى الله تع يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف

عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى
الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود
القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرء القران قبل ان تسرج ولا ياكل
الا من عمل يده قال الله تع والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر
في السرد وكان يسئل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله تع صلوة داود واحب الصيام
الى الله تع صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل
باكيا حيوته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع
الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال
اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن
له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل
في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء عليهم السلام
قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك
فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال المجاهد كان طعام
يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله تع حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى
الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش
وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما يكرع
الدابة تواضعا لله تع بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله

دابته

مسطورة

مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور
والشمايل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى
ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين او المفسرين مما يخالف هذا

فصل

قد اتينا اكرمك الله تعالى من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل المجيدة
وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله
عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة
لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة
قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي
ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قال حدثنا ابو القاسم علي بن
احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
املاء من كتابه قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج
خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن ابي هالة
عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال سالت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر

قرات ١١٧٤ ٥٠٨ ٦٦٦

احمد بن الحسن بن احمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا
الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا حدثنا ابو علي
الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال حدثنا ابو محمد الحسن
ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن
ابي طالب رضي الله عنهم المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل
ابن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما قال حدثنا علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال
قال الحسن بن علي رضي الله عنهم واللفظ لهذا السند سألت خالي
هند بن ابي هالة رضي الله عنه عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالو وجهه تلالو القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان
انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة
كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء
البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري
الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة ششن الكفين والقدمين وسائر
الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع

اذنه

او سائل
او سائن

المشية

ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام
قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل
السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم
النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا
تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب
أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل
حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي رضي الله عنهم زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله كله فلم يدع منه شيئا
قال الحسين رضي الله عنهما سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله
جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه
ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل
بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو
الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ
الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي
حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها

ينتظر

غير ممنون

ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع رضي الله عنه يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب

ولا ف

ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس
منه قد ترك نفسه من ثلث من الرياء والاكثار وما لا يعنيه
وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته
ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه
ويعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا
رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ويقبل ولا يطلب الثناء الا من
مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع رضي الله عنه وزاد الاخر
قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسويته النظر
والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم
صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع
له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر
الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه

مكافئ

الحلم

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن
الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط
والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا
جعد والعقيقة شعر الراس اذا ان تفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم

والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في
الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج ووقع في حديث ام معبد رضي الله عنها وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل
العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز فيها
كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة
الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن
وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر
ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء
البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما في الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل
قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما
والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع
وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال سائن بالنون
قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما
على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل

عين شكلاء اذا كان في بياضها حمرة

وروي

ورحب

كني به

كُنِّيَ بِهِ عَنْ سَعَةِ العَطَاءِ وَالجُودِ • وَخُمْصَانُ الأَخْمَصَيْنِ • اي مُتَجَافِي أَخْمَصِ
القَدَمِ وَهُوَ المَوْضِعُ الَّذِي لَا تَنَالُهُ الأَرْضُ مِنْ وَسَطِ القَدَمِ • وَمَسِيحُ
اي أَمْلَسُهُمَا • وَلِهَذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ • وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
خِلَافُ هَذَا قَالَ فِيهِ اِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَخْمَصُ • وَهَذَا
يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ القَدَمَيْنِ • وَبِهِ قَالُوا سُمِّيَ المَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ • اي انه
لَمْ يَكُنْ لَهُ اَخْمَصُ • وَقِيلَ مَسِيحٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِمَا • وَهَذَا اَيْضًا يُخَالِفُ قَوْلَهُ شَثْنُ
القَدَمَيْنِ • وَالتَّقَلُّعُ رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ • وَالتَّكَفُّؤُ المَيْلُ اِلَى سَنَنِ المَشْيِ
وَقَصْدِهِ • وَالهَوْنُ الرِّفْقُ وَالوَقَارُ • وَالذَّرِيعُ الوَاسِعُ الخَطْوِ • اي
اِنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَيَمُدُّ خَطْوَهُ خِلَافَ مِشْيَةِ المُخْتَالِ
وَيَقْصِدُ سَمْتَهُ وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ • وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ • كَمَا قَالَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ
مِنْ صَبَبٍ وَقَوْلُهُ يَفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ • اي لِسَعَةِ فَمِهِ • وَالعَرَبُ
تَمَادَحُ بِهَذَا وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الفَمِ • وَاَشَاحَ مَالَ وَانْقَبَضَ • وَحَبُّ الغَمَامِ البَرَدُ
وَقَوْلُهُ فَيَرُدُّ ذَلِكَ بِالخَاصَّةِ عَلَى العَامَّةِ • اي جَعَلَ مِنْ جُزْءِ نَفْسِهِ مَا يُوصِلُ
الخَاصَّةَ اِلَيْهِ فَيُوصِلُ عَنْهُ لِلعَامَّةِ • وَقِيلَ يَجْعَلُ مِنْهُ لِلخَاصَّةِ • ثُمَّ يُبْدِلُهَا
فِي جُزْءٍ آخَرَ بِالعَامَّةِ وَيَدْخُلُونَ رُوَّادًا اي مُحْتَاجِينَ اِلَيْهِ • وَطَالِبِينَ
لِمَا عِنْدَهُ وَلَا يَنْصَرِفُونَ اِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ • وَقِيلَ عَنْ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيُشْبِهُ
اَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ اي فِي الغَالِبِ وَالاَكْثَرِ • وَالعَتَادُ العُدَّةُ وَالشَّيْءُ
الحَاضِرُ المُعَدُّ • وَالمُوَازَرَةُ المُعَاوَنَةُ وَقَوْلُهُ لَا يُوطِنُ الاَمَاكِنَ اي لَا يَتَّخِذُ
لِلصَّلَاةِ مَوْضِعًا مَعْلُومًا • وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الحَدِيثِ
مُصَابِرَهُ اي حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ صَاحِبُهُ • وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ اي
يُذْكَرْنَ بِسُوءٍ • وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ اي يُتَحَدَّثُ بِهَا • اي لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْتَةٌ وَاِنْ
كَانَتْ مِنْ اَحَدٍ سُتِرَتْ • وَيَرْفِدُونَ يُعِينُونَ • وَالسَّخَّابُ الكَثِيرُ الصِّيَاحِ
وَقَوْلُهُ وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ اِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ • قِيلَ مُقْتَصِدٌ فِي ثَنَائِهِ وَمَدْحِهِ
وَقِيلَ اِلَّا مِنْ مُسْلِمٍ • وَقِيلَ اِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ عَلَى يَدٍ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ • وَيَسْتَفِزُّهُ يَسْتَخِفُّهُ • وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي وَصْفِهِ مَنْهُوسُ العَقِبِ

اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند الله ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تع واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثنى عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم عليه السلام وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثنا ام القاسم بنت ابي بكر ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تع اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير من اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا وذلك قوله تع اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرهم قبيلة وذلك قوله تع وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا اتقى ولد ادم عليه السلام واكرمهم على الله تع ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تع انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال صلى الله عليه وسلم وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع اصطفى

رتبة

ام بكر

من ولد ابو

مِنْ وَلَدِ آدَمَ ابْرَاهِيمَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ ابْرَاهِيمَ اسْمٰعِيلَ • وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ اسْمٰعِيلَ
بَنِي كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا • وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ • وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ • وَمِنْ حَدِيثِ انَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ انَا اكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ
عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ • وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا • انَا اكْرَمُ الْاَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ • وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا • عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَانِي جِبْرِيلُ
فَقَالَ قَلَبْتُ مَشَارِقَ الْاَرْضِ وَمَغَارِبَهَا • فَلَمْ ارَ رَجُلًا افْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَلَمْ ارَ بَنِي ابٍ افْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ • وَعَنْ انَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ انَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • اُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ اُسْرِيَ بِهِ فَاسْتَصْعَبَ بِهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ
ابِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْعَلُ هٰذَا • فَمَا رَكِبَكَ احَدٌ اكْرَمُ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى مِنْهُ فَارْفَضَّ
عَرَقًا • وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا • عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى آدَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ اهْبَطَنِي فِي صُلْبِهِ الَى الْاَرْضِ • وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ
وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ ابْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ • ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْاَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ
الَى الْاَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ • حَتَّى اَخْرَجَنِي بَيْنَ ابَوَيَّ لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ • وَالَى هٰذَا
اشَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِيهِ بِقَوْلِهِ •
مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي • مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ •
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ • اَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقٌ •
بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ • وَقَدْ اَلْجَمَ نَسْرًا وَاَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ الَى رَحِمٍ • اِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ •
وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابُو ذَرٍّ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابُو هُرَيْرَةَ
وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ انَّهُ قَالَ اُعْطِيتُ خَمْسًا • وَفِي بَعْضِهَا سِتًّا
لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي • نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ • وَجُعِلَتْ لِيَ الْاَرْضُ مَسْجِدًا
وَطَهُورًا وَايُّمَا رَجُلٍ مِنْ اُمَّتِي ادْرَكَتْهُ الصَّلٰوةُ فَلْيُصَلِّ • وَاُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ
وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ مِنْ قَبْلِي • وَبُعِثْتُ الَى النَّاسِ كَافَّةً • وَاُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ •
وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلَ هٰذِهِ الْكَلِمَةِ • وَقِيلَ لِي سَلْ تُعْطَهُ • وَفِي رِوَايَةٍ اُخْرَى وَعُرِضَ
عَلَيَّ اُمَّتِي فَلَمْ يَخْفَ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ • وَفِي رِوَايَةٍ بُعِثْتُ الَى الْاَحْمَرِ وَالْاَسْوَدِ

احدا

الى الاصطفى في صلب ابراهيم
الى الارض لا في صلبه الى الارض
في صلبه انت كيف يحترق
مقتضى الرواية
تمام الابيات
وصلب
صلبه النطق
في الجنان
الشفق
من صالب اي من صلب
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف
وانت لما ولدت اشرقت الارض
فنحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد نخترق
النطق اوسط الجبال العالية

قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود
والاحمر العجم وقيل البيض والسود من الام وقيل الحمر الانس والسود
الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله
عنه انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله
لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله
ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة
النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة
ومن رواية ابن وهب رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تع
سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تع ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك
مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم
اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك
شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة رضي الله عنه
بشرني يعني ربه جل شانه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي
ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر

واتخذت

اعطيت خيرا

وانما كان

وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله تع الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر
معجزات الانبياء عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها
ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه
كلام يطول هذا نكتته وقد بسطنا القول وفيما ذكر فيه سوى هذا
آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته
واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم
لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال ان الله تع فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما
وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تع
قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال
ان الله تع قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد
صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا
عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام يعني قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه
خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ
جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست

مِنْ ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً فأخذاني فشقّا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم أعاده مكانه والآخر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زِنْه بعشرة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زِنْه بمئة من أمته فوزنني بهم ثم قال زِنْه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دَعْهُ عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله تع ان الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله تع من أين محمد صلى الله عليه وسلم قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه أكرم خلقك عليك فتاب الله تع عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تع فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية أخرى فقال آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فإذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تع اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم عليه السلام يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر

مراق بتشديد القاف أسفل البطن وما حوله حيث استرق الجلد

عينان

فوزنتهم

وروي عن شريح بن يونس انه قال ان لله ملئكة سيّاحين عبادتها
زيارة كل دار احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروي
ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تع وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب
عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في
جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله تع
نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله تع
فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل

بنصب

لا اله الا الله

عن آله

ورزق جيرانهم

فصل فيما تضمنته

الرفعة

بصره

فاذا انا بآدم

في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من
درجات الرافعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار
قال الله تع سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال
والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه
احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة
من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو
بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا
قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي
حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن
الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا
ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال صلى الله عليه وسلم
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
عليهم السلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله
عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد

قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى
ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب
بي ودعا لي بخير قال الله تع ورفعناه مكانا عليا ثم عرج الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهرون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم عليه السلام
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله تع ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله تع يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله تع
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى
عليه السلام فقال ما فرض ربك على امتك فقلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال صلى الله عليه وسلم فرجعت الى ربي فقلت
يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني
خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي تع وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال
صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
ربك فاسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت

قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جوّد ثابت
رضي الله عنه هذا الحديث عن انس رضي الله عنه ما شاء ولم يأت احد عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس رضي الله عنه تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق
بطنه صلى الله عليه وسلم وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل
الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة
بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن
سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند
ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس
فجوّد في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان
قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل
اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس رضي الله عنه قال كان
ابو ذر رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم
جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث
بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة
ونقصان وخلاف في ترتيب الانبياء عليهم السلام في السموات وحديث
ثابت عن انس رضي الله عنه اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادة
نذكرها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي
له مرحبا بالنبي الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح
وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع
فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة
المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث

ولم يأت

ونقص

والاخ الصالح

مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر
مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رايتني في جماعة
من الانبياء عليهم السلام فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى
مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله
من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على
ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان لكل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل
امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى
سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال الله تع
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى

رسول الله

وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملئكة قال صلى الله عليه وسلم فهو قوله تع
اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتع له سل فقال صلى الله عليه وسلم
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل
وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تع قد اتخذتك خليلا وحبيبا
فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة
وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم
خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين
خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا
قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثا قال اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال تع
وما كذب الفؤاد ما راى الايتين راى جبريل عليه السلام في صورته له
ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في
السابعة قال بتفضيل كلام الله تع قال ثم علا به فوق ذلك بما لا
يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام
ببيت المقدس وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت
في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء

وغشيها

البقرة صح
سورة
بنيا
خواتم
قبلك واعطيتك
لم اعطها
من كنز تحت عرشي

الصلوة

فيك

لمسست

وانا

ولطف

مطلب اذان

الحجب

وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل عليه السلام كانه جلس لاطيا فعرفت
فضل علمه بالله سبحانه علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم
دوني الحجاب وفرجة الدر الياقوت ثم اوحى الله تع الي ما شاء ان
يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تع
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله
ما ركبك عبد اكرم على الله تع من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى
بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تع فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح
وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء
فيهم آدم ونوح عليهم السلام قال ابو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
راويه اكمل الله تع لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب
انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تع كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب
يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على
ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه
من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه ان

هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم
الملئكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي على الرحمن
فيحمل على حذف المضاف اي على عرش الرحمن او امرا من عظيم اياته او مبادي
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال الله تع واسئل القرية اي اهلها وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله
ولكن من وراء حجاب كما قال الله تع وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان
محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله
رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم

او اثر

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراؤه بروحه او جسده على ثلاث
مقالات فذهب طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم
ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية رضي الله عنه وحكي
عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم
قوله تع وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة
رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا
انا نائم وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر
القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد في اليقظة وهذا هو
الحق وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن
جريج وهو دليل قول عايشة رضي الله عنهم وهو قول الطبري وابن
حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء

وهو الحق

والمحدثين

والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد
يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة
والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له
بالاسرا اليه قال هولاء ولو كان الاسرا بجسده الى زايد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ بالمدح ثم اختلفت هذه الفرقتان
هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس رضي الله عنه وغيره ما تقدم
من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا
عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا
والصحيح ان شاء الله تع انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده
وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل
بعبده وقوله تع ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه
اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به
ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل
لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته
الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبيا عليهم السلام ببيت المقدس
في رواية انس رضي الله عنه او في السما على ما روى غيره وذكر مجيء
جبريل عليه السلام له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال
ومن معك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقايه الانبيا فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى
عليه السلام في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل عليه السلام
بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه

ولما استبعده